تحقيق

الفتيات الريفيات

إنهن فئة مهمة ولها خصوصيتها لسن من كوكب آخر ولكنهن ينتمين إلى وسط اجتماعي وطبيعي وبالتالي نفسي خاص، مما يخلق فئة لها متطلباتها وظروفها المميزة التي تفرض ضرورة خطابها إعلامياً بأسلوب يأخذ بعين الاعتبار مجمل المعطيات التي تحيط بها ومن هنا تلح أسئلة هامة يعززها واقع الفتاة الريفية .

فهل وسائل الإعلام على القدر الكافي من المسؤولية تجاه هذه الفئة في توجيهها ومدى وصولها وتفاعلها وأساليبها ولغتها الخطابية وتأثيرها وتأثرها ؟؟؟

قد يقول قائل : أو ليست المراهقة الريفية فتاة كغيرها من الفتيات أينما كانت وفي أي بيئة وجدت ؟ وبالتالي فالإعلام يتناولها في كثير من البرامج والمواد المقروءة والمرئية والمسموعة لكن الواقع يفرض حقيقة غير ذلك .

فهلم في رحلة نبدأها في أعماق الريف السوري كنموذج متنوع نتناول من خلالها الفتاة الريفية ليس بعين الإعلام المغمضة بصورة نسبية عنها بل بعين حيادية قدر الإمكان تحاول أن تبصر حياة هذه المراهقة ومدى تغطيتها إعلامياً ، وإبراز المسؤولية الملقاة على عاتق العديد من الجهات المعنية .

بين الواقع والإعلام



❖❖ بعض التفاصيل أولاً :

المجتمع العربي قديم بتاريخه فتيّ في تكوينه السكاني هذا ما قاله «مكدوجل» عن المجتمع العربي وسورية من أبرز النماذج لهذا المجتمع حيث بلغ عدد سكانها عام /١٩٩٩/ /١٧,٤٦٠/ مليون نسمة بنسبة ازدياد ٣,٣٪ لعام /١٩٩٤/ أما السكان الريفيون فيشكلون ٤٩,٨٪ من إجمالي سكان سورية وتشكل نسبة الذكور منهم مئة مقابل /١٠٣/ من الإناث أما بالنسبة للفئة الشابة فهي كما في الجدول التالي :

أيوب: فرق كبير بين حياة الفتاة في الريف والمدينة

نسبة الإناث للذكور حسب الفئة العمرية في الريف

الفئة العمرية	% إناث	% ذكور	النسبة %
١٤-١٠	١٤,٩	١٥,٢	٩٥,٠
١٩-١٥	١١,٩	١١,٨	٩٧,٨
٢٤-٢٠	٩,٠	٨,٧	١٠٠,٩
٢٩-٢٥	٧,٢	٧,٠	١٠٠,٥

وهنا نتساءل هل تنال هذه النسبة من الفتيات الريفيات والتي تشكل جزءاً حيوياً من عدد السكان ما يتناسب معها من اهتمام إعلامي وتوجه متخصص .

الجواب : جزماً ((لا)) هذا الجزم لا يأتي من فراغ ، فالوسيلة الإعلامية الأكثر انتشاراً هي التلفزيون والبرامج الأكثر مشاهدة حسب الاستبيان هي المسلسلات التي نادراً ما تتطرق إلى حياتهن واهتماماتهن واحتياجاتهن، وإن فعلت فلترسم بعض ملامحها دون أن تكون هدفاً أما البرامج المتخصصة كالبرامج الحوارية والزراعية والاجتماعية فإنها ظلت بعيدة عن المجال الحيوي للمراهقة الريفية ، وبالنسبة للإعلام المقروء فالقضية تحيط بها مدلولات توحي ببعدها الأشد عن أدائها لدورها واهتمامها وتغطيتها بهذا الخصوص فالأمر الأهم هو مدى التلقي والتفاعل!!! حيث تتطلب هذه الوسيلة مستوى من التعليم للتواصل معها حيث تشكل نسبة الأمية في الريف حوالي /٣٤٪/ وخاصة بين الإناث وفي بعض المناطق تصل إلى /٤٤٪/ مقارنة مع الذكور /١٧٪/ ويبين الجدول التالي هذه الفجوة:

الحالة التعليمية	ذكور	إناث	الفجوة النوعية
أميون	١٦,٢	٤٣,٧	+ ٢٧,٥
يستطيعون القراءة والكتابة	٣٤,١	٢٤,٥	- ٩,٥
الشهادة الابتدائية	٢٧,٠	٢٠,٠	- ٧,٠
الشهادة الإعدادية	١١,٠	٧,٠	- ٣,٠
الشهادة الثانوية	٦,٦	٢,٧	- ٣,٩
شهادة جامعية	٢,٢	٠,٤	- ١,٨
دكتوراه	٠,٠	٠,٠	٠,٠

وما زال من الملاحظ أن ٣٤٪ من الفتيات المراهقات مابين (١٠-١٩) سنة هن أميات تماماً وتعتبر هذه النسبة أعلى بكثير لدى الفتيات المراهقات في المجتمعات الزراعية .

وهذا يؤكد أن الفتيات في هذه الفئة العمرية نفسها يوفرن ٤٢٪ من العمالة النسائية وعلى ما يبدو فإن العدد الكبير من الفتيات يتم إبقاءهن خارج المدرسة كي يوفرن العمالة الزراعية سواء في الحيازات التي تمتلكها الأسرة أو العمل لدى الغير بينما يُرسل الصبيان أو الشباب لإكمال التحصيل الدراسي، ويعتبر الريفيون الاستثمار في تعليم البنات خسارة لأن الفتيات سيتزوجن ويتركن أسرهن في حين أن الاستثمار في تعليم الشباب من شأنه أن يوفر الأمان الاقتصادي لذويهم في الشيخوخة وهذا بالتالي يؤدي إلى انخفاض نسبة الفتيات القادرات على متابعة وسائل الإعلام المقروءة هذا إن وصلت هذه الوسائل إلى عمق الريف كون المكتبات تتركز في المدن والتوزيع في الأرياف نسبته ضئيلة للغاية عدا عن بعض المجلات التي يحضرها الأقارب الذين يتابعون دراستهم أو يعملون في الحضر وغالباً ما تكون فنية أما الصحافة اليومية والمتخصصة فقليلة التداول وبالتالي قليلة التأثر والتأثير .

❖❖ جولات ولقاءات :

- الشريحة المعنية تتحدث من أعماق الريف :

- فاطمة سيدة من ريف الرقة في بداية العشرينات متعلمة تقول : لم أشاهد في التلفزيون أو أسمع في الإذاعة شيئاً وأشعر أنه يعنيني أو أنه يتوجه لي كل ما نشاهده يتناول حياة لا علاقة لها بحياتنا لا من قريب أو بعيد وحتى المسلسلات التي نتابعها تتحدث عن طبقات وشرائح المدينة ، كمشاكل الزواج المبكر والعمال...الخ

- خديجة . ك فتاة جامعية من ريف حلب : أنا الجامعية الوحيدة في قرية سكانها /٥٠٠٠/ نسمة وعندما ذهبت إلى الجامعة فوجئت بكل شيء كل الحق على الإعلام الذي لم يستطع تأدية دوره بالشكل الأنسب وركز على أمور بعيدة عن عادات وواقع مجتمعاتنا الأمر الذي أدى إلى تحقيق حالة سلبية جداً فقد تعلقت فتاة الريف بأمور زادت من غربتها عن واقعها وجعلها تعيش أحلاماً من المستحيل تحقيقها ، كما أن برامج التلفزيون جعلت المراهقة الريفية تتخلى عن العديد من الخصال الحميدة التي كانت تتمتع بها وهنا أتحدث عن مختلف الأقنية فالريف السوري تصله أقنية محلية وغير محلية .

- مها . م فتاة في المرحلة الإعدادية من ريف الجنوب السوري : في البداية أتساءل لماذا التلفزيون يصور لنا مشكلات وهموم شباب المدينة فليأتوا إلينا ويتعرفوا عن قرب إنهم

فقط يكتفون بإغراء شبابنا لترك الريف والالتجاء للمدينة وهذا يزيد الطين بلة مما يؤدي إلى مشكلات لا حد لها ، أدرس في الصباح وأعمل مع والدي بعد المدرسة في الأرض وأنام مرهقة فمتى سأتابع الإعلام وإذا فعلت أتابع التلفزيون للتسلية أحياناً ·

- زهرة . أ من ريف الساحل السوري في الصف العاشر : لاأظن أن الإعلام قد لامس حتى ملامسة خجولة مشاكل الفتاة المراهقة في الريف التي ترزح تحت وطأة العديد من الظروف المرهقة والعادات التي تعيق إبداعاتها وإني أسأل لماذا التركيز على الشباب في المدينة مع أن الريف زاخر بالمواهب والمبدعين هم بأمس الحاجة إلى إلقاء الضوء على إبداعاتهم ... أنا أضطر بعد المدرسة لمساعدة أهلي بالأعمال الزراعية كالشتل والقطاف وحتى في أعمال المنزل كحلابة البقرة وإطعام الدجاج ومع ذلك أكتب الشعر ولكن لا أحد يسمعني أو يقرأ لي أو يرشدني أقرأ بعض الكتب التي يحضرها أخي من اللاذقية فلا مكتبات في قريتنا إلا لبيع القرطاسية في الدكاكين ولا مال لدي لأشتري إن وجد ·

- هذه العينات كانت من نماذج متعلمة نسبياً أما النماذج الأمية فقد رفض معظمها الحديث أو لم يتمكن من معرفة الغرض من السؤال كما أصرت الفتيات على عدم ذكر الأسماء كاملة أو ذكر أسماء قراهن لاعتبارات اجتماعية وهذا يحمل الكثير من المدلولات ·

- الإعلامي محمد الخليل - صحفي من ريف المنطقة الشرقية : لا شك إن العالم اليوم يعيش ثورة عظيمة في مجال الإعلام حتى تحولت الكرة الأرضية كما يقولون إلى قرية صغيرة ورغم أن الإعلام في الدول الغربية استطاع الوصول إلى مختلف شرائح المجتمع وظهرت العديد من المطبوعات الدورية والمحطات التلفزيونية والإذاعية التي كان لها الدور الأعظم في تقدم وتطور هذه المجتمعات ولكن بلدان العالم الثالث ما زالت تعاني التخلف في هذا المجال الحيوي الهام وقد لا ينسحب هذا الكلام على مختلف قطاعات المجتمعات فقط حظي المجتمع الحضري بقدر لا بأس به من الاهتمام في مختلف وسائل الإعلام ولكن المجتمع الريفي ما زال بعيداً بنسبة ما عما يجري في العالم وخاصة المرأة التي ما زالت تعاني من الإهمال والنسيان فهي ما زالت تعاني الأمية القاتلة نسبة لغيرها من النساء وإذا كانت السياسة التعليمية في سورية استطاعت أن تنشئ الأجيال الجديدة من الفتيات تعليماً فهن يحملن الحد الأدنى من التعليم إلا أن المراهقة في الريف ما زالت مغيبة في كل وسائل الإعلام المقروء والمرئي والمسموع ·

وإذا كان التلفزيون قد دخل الريف من أوسع أبوابه إلا أن هذا الجهاز لم يحمل في برامجه وطروحاته ما يخص هذه الفتاة التي تقضي جل وقتها في العمل الزراعي المنتج دون أن تنال حقوقها (الإعلامية). لابد من الإشارة أن الأسباب المؤدية لأزمة المراهقة تختلف في الريف في أشكالها، ولها خصوصيتها .. وبالتالي فطريقة التعامل معها والنصائح المقدمة أو الممكنة الاستخدام مختلفة تماماً وبحاجة إلى تعمق بهذا البعد الهام ·



- د. بطرس حلاق في محاضرة حول دور الإعلام في التنمية :

إن فكرة التنمية تنطلق أساساً من اعتبارات اقتصادية تتعلق في حسن استخدام الموارد وتحقيق زيادة في الدخل، وعلى الرغم من أهمية الجانب الاقتصادي في التنمية إلا أن نجاح خطط التنمية رهن بالمشاركة الإيجابية للقوى المنتجة التي يمكن من خلال الإعلام والتوعية والتربية والتثقيف دفعها للتقبل والمشاركة في برامج التنمية وهذا يتطلب إعداد دراسات إعلامية وطنية لبلوغ الأهداف المرجوة والإعلام غير المخطط قد يعطل مسيرة التنمية ، وتحدث د. حلاق عن خطوات تخطيط الإعلام الخاص بتنمية مجتمعنا المحلي، وطرح مقترحاً لخطة إعلامية تنموية ترتكز على خلق البيئة الفكرية المتعاطفة مع عملية التنمية وعلى تعميق الصلة بين الجمهور المحلي بوسائل الإعلام المحلية فبقدر ما تسهم وسيلة الإعلام في إشباع حاجات الجمهور المباشرة وغير المباشرة بقدر ما يزيد رصيدها وتكسب ثقة هذا الجمهور ·

وهذا يتطلب طاقات بشرية مؤهلة سواء كانوا إعلاميين محترفين في أصول أعداد وتقديم الرسائل الإعلامية وإداريين بكفاءة عالية وباحثين متخصصين وإمكانات مالية وتكنولوجية مستمدة من اعتماد المؤسسات الإعلامية على نفسها إضافة للتعاون والتكامل بين المعنيين من مجتمعنا المحلي ·

❖❖ وفي لقاء مع السيدة رائدة أيوب رئيسة وحدة تنمية المرأة الريفية :

س١ : هل من فرق بين تفصيلات حياة المراهقة الريفية والمراهقة في المدينة ؟

ج١ : إذا اعتبرنا مجازاً أن فترة المراهقة بكافة مراحلها تبدأ من /١٢-٢٥/ سنة نجد الفرق الكبير بنمط الحياة بين حياة كل من الريفية والحضرية بهذه المرحلة فكثير من فتيات الحضر على الغالب يواصلن التعليم لعمر /١٨/ سنة أي المرحلة الثانوية العامة وهناك نسبة لا بأس بها تتابع التعليم الجامعي وهذا يرتبط بسن الزواج حيث تتزوج الحضرية بين /١٨-٢٠/ سنة أو بعد /٢٤/ للمتعلمات جامعياً في حين نجد غالبية الفتيات الريفيات تترك التعليم ببداية مرحلة المراهقة /١٢/ سنة وبانتهاء المرحلة الابتدائية والنسبة الأقل التي يحالفها الحظ ممكن أن تتابع تعليمها الثانوي حسب توفر المدارس في القرى وحسب العادات والتقاليد ، مفاد القول أن الفتاة الريفية منذ /١٢/ سنة تكون مشروع زوجة وعلى الغالب في سن /١٨/ تكون أم لطفل أو طفلين

س٢ : ما معنى هذا الكلام ؟

ج٢ : أن الفتاة عندما تبدأ بمرحلة النضوج العقلي والجسدي تبدأ حياتها كزوجة وأم على الغالب وليس لديها فرصة لاختيار حياتها ... بينما في المدينة تعيش الفتاة مراحل المراهقة بأدق تفاصيلها لديها فرصة الميل للجنس الآخر وحتى قصص الحب العابرة ولديها فرصة أوسع مستقبلاً لاختيار حياتها الأسرية والعملية ، لديها خيار الزوج ومرحلة الإنجاب والتحكم بمسار حياتها

العملية إضافة لتوفر المؤسسات الموجودة في المدينة تساعد الحضرية على عيش فترة مراهقتها أكثر مثل: النوادي والمدرسة والاتحادات والسينما والمسرح وغيرها بخلاف الريفية التي تنخرط بمؤسسات أقل إن وجدت، بالإضافة لانشغالها طويلاً بالعمل في بيت الزوج أو الأسرة أو العمل الحقلي بينما في المدينة لا مهمة لديهن إلا الدراسة وبعض الأعمال المنزلية والفراغ في الصيف .

س٣ : وماذا عن الإعلام الموجه للفتاة الريفية ومدى تلقيها له ؟

ج٣ : النسبة الأعلى تعتمد على التلفزيون كوسيلة إعلام وحيدة لكن ساعات المشاهدة قليلة بسبب الانهماك بالأعمال الزراعية والأسرية ، وعلى الغالب البرامج الموجهة لا تهتم بالفتاة الريفية باستثناء بعض البرامج التي تقدمها المنظمات الشعبية ولكن لا تمس حياة الريفية بشكل خاص وتعالج على الغالب العملية الإنتاجية الزراعية كما أن رسائل الدكتوراه والماجستير والمتخصصة لا تقوم ببحث متخصص يخدم أو يغطي حياة المرأة الريفية إلا بعض المبادرات القليلة والشخصية التي بدأت تطرح مواضيع مثل التمكين الاقتصادي والنواحي الإنتاجية للمرأة أما الجدوى الاجتماعية التي يفترض أن تنبثق عن التمكين الاقتصادي لم يتم دراستها .. هل أصبحت المرأة صاحبة القرار بالأسرة في مسألة تعليم الأبناء ... حتى الأعمال الإعلامية والمسلسلات التي نراها تعالج موضوع الفتاة الريفية باستحياء مثل / الحيار ، الزواج ، علاقتها بزوجها/ دون تقديم حلول مثل مسلسل /النهر ، الحيار ، فيلم ابن أوى ... الخ/ دون إعطاء نموذج مبشر لتجاوز المشكلات .. هذا يعد النظام العام للريف وهناك تفاوت بين المحافظات الريفية ففي الساحل السوري وبسبب الحضارات المتعاقبة على هذه المنطقة والانفتاح على العالم من خلال البحر فإنها ربما تختلف بنسبة أقل عن الحضرية وربما نالت نسبة أعلى من التعليم أما في المنطقة الشمالية والشرقية فالمشكلة تزداد ظهوراً أما المنطقة الوسطي والجنوبية فهي تتفاوت في التطور بين قرية وأخرى وبالتالي فالمراهقة الريفية لا تتساوى إشكالياتها وايجابياتها إنما يمكن أخذ سمة عامة .

تجربة رائدة :

من الملفت للنظر الدور الفعال الذي يقوم به الإرشاد الزراعي الذي تبنى تحديد الاحتياجات اللازمة للنهوض بواقع المرأة الريفية حيث وضعت استراتيجية بضوء هذه الاحتياجات حيث بُحثت مشكلات المرأة الريفية مثل سيادة بعض القيم التقليدية والعادات التي تزيد فقر وتخلف المرأة الريفية ، وانتشار الأمية بينهن وعدم توريث النساء في الريف وعمل النساء بدون أجر والعمل لساعات طويلة وتعدد الأدوار التي تقوم بها المرأة في الريف إضافة لعدم استفادتها من المكننة الزراعية واختصاصها بالأعمال اليدوية وعدم التكافؤ مع الرجل في الموارد المتاحة، وغياب البحث العلمي المتخصص فيها، وقصور القوانين المساندة لها، وعدم تمكين المرأة من حقوقها القانونية وتلبية لهذه الاحتياجات يقوم الإرشاد الزراعي في وزارة الزراعة بالتعاون مع عدة جهات أخرى كوزارة الشؤون الاجتماعية والعمل ، والثقافة والصحة .... ومن أحد المحاور التي تعالجها المرأة والإعلام حيث يتم إعداد وتنفيذ برامج إعلامية (مسموعة - مقروءة - مرئية) هادفة إلى رفع مستوى الوعي الاجتماعي - الاقتصادي - الثقافي للمرأة الريفية والاستفادة من البرامج الإعلامية بتعزيز الدور الذي تقوم به المرأة في الإنتاج الزراعي والحيواني والصناعات الريفية والمشاريع الإنتاجية وكذلك التي تعنى بتنظيم الأسرة وتحسين النظرة إلى المرأة وتقوية الروابط الأسرية.

كما يعمل على إعداد البرامج الإعلامية الهادفة التي تخص المرأة الريفية لإكسابها مهارات وتقنيات وتعمل على توعيتها قانونياً واجتماعياً ونفسياً من خلال عروض للمسرح الزراعي الجوال والنشرات والمحاضرات والدورات التدريبية ... علماً أن التعاون مع وسائل الإعلام لا بد أن ينال مساحة أوسع وتطوراً أكبر .

حقيقة :

لا يمكن لتحقيق إعلامي واحد أن يشمل كافة جوانب هذه القضية ذات الأثر البعيد على حركة تطور مجتمعنا السوري خاصة والعربي عامة، فهناك الكثير من العوائق التي يصعب اختصارها ولكن يحاذي هذه الصعوبات اقتراحات الزمن .. والتكافل بين الجهات الكفيلة بتحقيقها مثل متابعة الجهود لمحو أمية المرأة الريفية وتعريفها بحقوقها والاهتمام بالأبحاث العلمية المتخصصة بالشباب الريفي ميدانية ونظرية إضافة لضرورة العمل على توفير مراكز ترفيهية وثقافية في الريف وتفعيل دور المراهقة الريفية من خلالها ، كذلك إلى وضع برنامج توعية في مجال قضايا الشباب الريفي (فتيات وشباب) ولفت نظر أصحاب القرار لأهمية قضايا التنمية الريفية فإن لم نطور الذكور لن تتطور الفتيات... والاستفادة من مشاركة أبناء الجهات ذات العلاقة بالتنمية الريفية كون تلبية احتياجات الشباب الريفي بشكل يتماشى مع التنمية المستدامة يحتاج إلى إقامة مشاريع ريفية وإعطاء أهمية خاصة لقضايا الفتيات والشباب عند تنفيذ هذه المشاريع .

تحلم الفتاة الريفية بإعلام ينهض إليها وينهض بها فأين الفعاليات الاقتصادية والإعلامية المحلية والعربية من هذه المسألة البالغة الحساسية والتأثير ؟

أعلم أن هذه مجرد بقعة ضوء بحاجة إلى وهجكم .



❖ علا أبو عجيب